

المنشآت العمرانية المائية في الدولة العثمانية – الأسبلة المائية أنموذجا

Water architectural structures in the Ottoman State – water fountains as a model

أمينة مولوة¹، سهام بومنيّر²

¹كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المدية، الجزائر 1

²كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المدية، الجزائر 1

تاريخ الاستلام: 2022/10/09، تاريخ القبول: 2024/10/28، تاريخ النشر: 2024/10/30

ملخص:

تعد الممرات المائية بما فيها الأسبلة كجزء من الأعمال المعمارية التي إهتم بها الحكام العثمانيين على اختلاف مستوياتهم وعدد كبير من ميسوري الحال باعتبارها أعمالا وقفية الهدف منها التقرب لله من خلال تيسير أعباء إيصال المياه لعامة الناس، كما كانت أحد أهم الأساليب التي تضمن للحاكم شرعيته، فخدمة الرعية والاهتمام بمتطلباتهم وتحقيق الرفاهية هي أسى واجباتهم. في نفس الوقت عكست هذه الأسبلة جانب من القيم الاجتماعية المنشرة من تكافل إجتماعي وتفاعل بين جميع طبقات المجتمع، دون أن تغفل عن الصورة المعمارية والجمالية التي جسدت بها هذه الاسبلة لتتكامل مع المدينة العثمانية وتشهد على تطوراتها.

الكلمات المفتاحية: الأسبلة؛ الدولة العثمانية؛ المنشآت المائية؛ العمارة؛ اسطنبول.

Abstract:

Waterways including the water fountains, are considered as part of the architectural structures that the Ottoman rulers at various levels and a huge number of well-to-do people cared about as Waqf works aimed at drawing closer to Allah by facilitating the burdens of water delivery to the general public, it was also one of the most important methods to ensure the legitimacy of the ruler serving the parish taking care of their demands and achieving well-being are their highest duties.

At the same time, this method reflected an aspect of the social values spread from social solidarity and interaction between all classes of society, without losing sight of the architectural and aesthetic image with which this method was embodied to integrate with the Ottoman city and testify to its developments.

*أمينة مولوة

Keywords: The water fountains; The Ottoman State; Water installations ; Architecture ; Istanbul.

Résumé :

Les Aqueducs et les Fontaines sont considérés comme monuments architecturaux, les souverains, les pachas ottomans, et les gens riches ont bien pris soin de ses structures, pour être des donations et waqf, qui visent à se rapprocher du Dieu grâce à conduire l'eau en ville et alimenter de nombreuses fontaines ; ainsi ses édifices à assurer la légitimité des autorités car garantir les conditions nécessaires aux citoyens et leurs prospérités sont le rôle de l'état. Par ailleurs ses fontaines faisaient apparaître les valeurs sociales entre les classes de la société, sans oublier l'architecture de ses fontaines qui a augmenté le charme de la ville ottomane.

Mots-clés : Fontaines ; L'état Ottoman; Aqueducs; Architecture; Istanbul.

مقدمة :

عتبر الماء مورد حيوي رئيسي لاستمرار الحياة ولا يمكن لأي كائن حي الاستغناء عنه، والشرط الرئيسي لقيام التجمعات البشرية ونهضة الحضارات، لذا اهتمت الدول الإسلامية تباعا وبذلت جهودا مضيئة لتوفير وتزويد المدن وإحيائها بالمياه التي تتواجد معظمها خارج المدن، كما عملت على تنظيم عملية توزيعها عن طريق هياكل تقنية عديدة وتخطيط منشآت معمارية مائية على اختلافها وتنوعها من سدود وقنوات مياه وخزانات، وكانت الأسبلة من أشهر أنواع المنشآت الخيرية التي عرفتها العمارة الإسلامية عموما والعثمانية على وجه الخصوص وكان الغرض منها تزويد المدن والقرى بالمياه.

زيادة على ذلك؛ تعد العناية بالأسبلة دليلا على اهتمام الدولة العثمانية بالخدمات التي توفرها لرعاياها وحرصها على إقامة البنى التحتية للمدن والسهل على راحة المسافرين من حجاج وتجار ورحالة، وقد اكتسب إنشاؤها طابعا اجتماعيا وسياسيا مميّزا فضلا عن الجانب الديني حيث تعتبر من الأوقاف الخيرية الأكثر انتشارا، وعبر التاريخ تسارع السلاطين والأمراء وحكام الولايات من أهل الخير والأغنياء للتنافس فيما بينهم لبناء الأسبلة المائية في المدن والأحياء عبر مختلف المناطق وكان الغرض منها تيسير الماء الصالح للشرب لكافة السكان، ناهيك عن البعد الهندسي والفني الذي طغى على عمارة هذه الأسبلة والنوافير وجعلها من أهم المظاهر الجمالية للمدن.

انطلاقا مما سبق ذكره؛ قامت دراستنا على الاشكالية التالية : إلى أي مدى ساهم العثمانيون في بناء الأسبلة لتوفير المياه وتحسين جودة الخدمات المائية عبر مختلف أراضي دولتهم ؟

وقد استندنا على الفرضيات التالية:

-أن الدولة العثمانية بذلت جهودا جبارة في سبيل توصيل المياه في مختلف مدنها.

-العناية ببناء الاسبلة وانتشارها عبر كل ولايات الدول.

-التطور المعماري والفني للأسبلة والنوافير.

- الدور الاجتماعي والاقتصادي للأسبلة.

وفي هذا المقام؛ تجدر الإشارة بأننا وجدنا العديد من الدراسات العربية والأجنبية أجريت حول موضوع الأسبلة المائية في الدولة العثمانية، من بينها نجد:

- أوقطاي أصلانا، فنون الترك وعمائرهم.

- فداء محمد أحمد قعور، الأسبلة المائية في العمارة الإسلامية -حالة دراسية نابلس.

- عزة بنت عبد الرحيم شاهين، جهود العثمانيين في توفير المياه في الحجاز (923-1218هـ/ 1517-1803م).

- Diego De Haido, Topographie Et Histoire Générale D'Alger, traduit par Dr Monnereau et A. Berbrugger, Edition Bouchene, France, 1998.

- Nur Urfalioğlu, İstanbul'un Çeşme ve Sebiller – Selim Sani Güngör, Osmanlı Su Mimarisi ve İstanbul'daki 19. Yüzyıl Su Yapıları.

- Mustafa Kahraman, the Causes Of The Formation Of Sebil and Fontain in Istanbul and The Effects of these Constructions on The City of Istanbul, the Journal of International Social Research, V 59, 2018. :11,N

وقد تناولنا في دراستنا عدة عينات موزعة عبر الإيالات العثمانية التي انضوت تحت حكم العثمانيين سواء في المشرق أو المغرب العربي، كما ركزنا على إسطنبول مركز الدولة ومكان إقامة السلاطين وكبار الوزراء، وعلى مناطق الأماكن المقدسة التي عرفت بإيالات الامتياز والتي حظيت باهتمام السلاطين والسلطانات.

علاوة على ذلك، قمنا بوضع مقدمة للموضوع تلتها خمسة متغيرات تمثلت في التعريف بالأسبلة لغة واصطلاحاً، ثم تتبعنا تاريخ ظهورها وانتشارها في العالم الإسلامي وتطورها حتى العهد العثماني، ثم عرض أهم التطورات التي عرفتها هندسة وعمارة الأسبلة وطرزها عبر مراحل الدولة العثمانية، لنقوم بعدها بمحاولة الإلمام بجهود العثمانيين في إقامة الممرات المائية وعمائرها بالأخص الأسبلة عبر مختلف الولايات العثمانية، ثم اظهار أهمية الأسبلة ودورها على مختلف الأصعدة، لنختم عملنا بحوصلة لأهم نتائج الدراسة.

كما اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي باعتبارنا سنصف الطرق التي تبنتها الدولة في تشييد هذه المباني ودورها في تزويد سكان المدن بالمياه، والأساليب الهندسية والفنية المتبعة في عمارتها، إضافة إلى المنهج المقارن بغرض المقارنة بين الأسبلة عبر التطورات التي شهدتها أساليب بنائها.

ومن خلال هذه الدراسة نستنتج أن العثمانيين سلكوا نهج الدول الإسلامية على غرار السلاجقة والمماليك في الاهتمام بتوفير المياه في المدن العثمانية، وتجلى ذلك في صور مختلفة كصيانة العيون، القنوات والآبار وتجديدها، وبشكل خاص الأسبلة التي حظيت بنصيب وافر من العناية.

فضلا عن ذلك؛ نجد بأن اهتمام السلاطين بهذه الأخيرة كان بدوافع دينية وسياسية كما هو الحال بالنسبة للأماكن المقدسة كالحرمين الشريفين والقدس، لكسب الأجر والثواب من الله عزّ وجل وتوفير سبل العيش للرعايا من جهة وتثبيت الحكم وإضفاء الشرعية على وجودهم في البلاد العربية من جهة أخرى. ولم تقتصر أهمية المنشآت على ميزتها الوظيفية وإنما كانت انعكاساً لمظهر معماري وجمالي يزين المدن بمختلف النقوش والكتابات التي تعكس تطور الأذواق عبر الزمن كما عكست نمط الحياة المتغير للمجتمع ببناء هذه الأسبلة في الساحات العامة وإحاطتها بالحدائق لتكون مركزاً للتجمعات.

1- تعريف الأسبلة:

لغة:

السبيل لغة يعني إباحة الشيء من مال ونحوه. كما أنه مكان لاستقاء الماء، وفي اللغة العربية يقال: أسبل المطر بمعنى هطل، وجاء في ابن منظور أن: السبيل هو الطريق وما وضع منه (قعرور، 2010، ص 13).

اصطلاحاً:

تعرف الأسبلة المائية بأنها منشآت عمرانية لها دور كبير في جميع مجالات الحياة في المجتمع الإسلامي، سواء من الناحية الدينية أو الصحية أو السياسية أو الاقتصادية حيث كان أثرياء المسلمين ينشئون الأسبلة تقرباً لله وأملاً في ثواب الآخرة وذلك بتوفير الماء للسقاية والشرب وللاسيما للمارة في الطرقات (قعرور، 2010، ص 02-03)، ومن ثم سبّلها أصحابها أي وقفوها في سبيل الله تعالى وقفاً في سبيل الله (الحداد، 2014، ص 295).

زيادة على ذلك؛ كانت تعرف بالسقايات خلال القرون الخمسة الأولى بعد الهجرة ثم انتشرت واشتهرت باسم الأسبلة منذ أواخر القرن 5 هـ / 11م لاسيما في الشام ومصر والجزيرة العربية، وفي إيران باسم سقاخانه وفي الأناضول جشمه، أما أقطار الغرب الإسلامي فقد ساد مصطلح السقاية (الحداد، 2014، ص 233-234)، بينما عرفت عند العثمانيين باسم چشمه Çeşme أو الششم، وهي كلمة فارسية تعني عين ماء جارية أو ينبوع ثم صارت اصطلاحاً لطراز بسيط من الأسبلة ذات الصنابير، وعرف السلاجقة الروم هذا النمط واستخدموه في عمائرهم (زيادة، ص 37-38).

ومما يميز الأسبلة العثمانية الزخرفة النباتية وأشكال الفاكهة التي تلعب دوراً كبيراً في الهندسة المعمارية خاصة على واجهة الأسبلة (Oğan, 1947, p. 04)، وقد صنفت حسب أشكالها ووظائفها والأماكن المتواجدة فيها فكانت نوافير المساجد ونوافير الزوايا، المدارس، الحمامات، ونوافير الأحياء، كما تصنف إلى نوافير داخلية وخارجية، أو تصنف إلى نوافير عادية أو نوافير السبيل، إضافة إلى تصنيفها حسب الشكل إن كانت نوافير مربعة أو نوافير حائط، أو نوافير عمودية، أو نوافير أرضية (Koçyiğit, 2019, p. 341).

2. بداية انتشار الأسبلة في العالم الإسلامي والدولة العثمانية:

1.2. في العالم الإسلامي:

يعد الاهتمام ببناء الأسبلة المائية عادة قديمة أخذت عند المسلمين طابعاً مميزاً بحيث سارع السلاطين والأمراء والأغنياء بإنشاءها في الأزقة والطرقات والأماكن العامة حتى يعم الخير وينالوا الأجر والثواب (سعدات، 1436، ص 07)، وقد جاءت فكرة إنشاء مبنى سبيل لما جرت عليه عادة العرب في الجزيرة العربية نظراً للبيئة المتربة والحر الشديد (قعرور، 2010، ص 02)، وكان أشرف قريش يتسابقون على الفوز بسقاية الوافدين لزيارة بيت الله الحرام والقوافل التي تمر بجانبه لأن في ذلك رفعة لهم وإعلاء لشأنهم (قعرور، 2010، ص 16)، ويعتبر عثمان بن عفان -رضي الله عنه- صاحب أول سبيل في الإسلام فقد اشترى بطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم بئر رومة في المدينة المنورة من صاحبه

اليهودي وأوقفه لسقاية المسلمين بعد أن كان اليهودي يأخذ مبالغ طائلة من المسلمين ثمناً للمياه البئر (سعدات، 1436، ص 29)، ثم وضع عمر بن الخطاب-رضي الله عنه - سبيلاً في الطريق بين مكة والمدينة (قعرور، 2010، ص 16)، وتعد السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد ممن حفظ التاريخ اسمهم في شقها لقناتها المعروفة لخدمة الحجاج ولا زالت آثارها في منى وعرفات إلى اليوم (سعدات، 1436، ص 29).

كما شهد العصر الأموي تشييد عدة منشآت لتوفير المياه بمكة المكرمة، منها عيون الخليفة معاوية بن أبي سفيان العشر، إضافة إلى الآبار والبرك، وحين أفضت الخلافة إلى العباسيين أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بفرش أرض مبنى زمزم بالرخام وتم وضع شباك وجددت قبتة، وفي عهد الخليفة المهدي ابن المنصور تم تجديد أبنية البئر وزيد في حفرها، وشهد عهد هارون الرشيد وأبناءه محمد الأمين والمعتصم بالله والواثق بالله تجديد أبنية سقاية العباس (قعرور، 2010، ص 18-19)، أما في العصر المملوكي تم بناء العديد من الأسبلّة في مصر؛ إذ يعد سبيل مدرسة الظاهر بيبرس الذي أنشئ عام 660 هـ أقدم انجازاتهم (سعدات، 1436، ص 30-31).

2.2. انتشار الأسبلّة في الدولة العثمانية :

تعتبر الهندسة المعمارية العثمانية إحدى مظاهر المدنية الإسلامية وما الفن المعماري العثماني إلا امتداد للفن المعماري السلجوقي (أوزتونا، 1999، ص 540)، فقد اهتم سلاطين السلاجقة وفاعلو الخير بإنشاء الأسبلّة (بازياب، 1994، ص 340-341)، والصنابير (الششم) في واجهات المساجد والمدارس في الأناضول أشهرها سبيل كوك مدرسة 1272م، ويعتبر سبيل داود باشا من أقدم الأسبلّة العثمانية الموجودة حالياً أنشئ عام 1485م يضم جفنة رخامية داخل حنية بعقد مدبب (أصلانا، 1987، الصفحات 335-336).

زيادة على ذلك؛ تعرف النماذج الأولى لأسبلّة القرن 14م باسم (أسبلّة الكتاب) لأنها تجمع بين سبيل ماء للناس ومدرسة لتحفيظ القرآن، وتأتي على هيئة نافذة في ركن المبنى لها عقد تحجبها شبكة مسرّدة وتزين واجهة العمائر والأبنية المختلفة حلية، وهناك نوع من الأسبلّة العثمانية المبالغ في زخرفتها أطلق عليها اسم (السلسيل) أقيم في بهجة الحدائق والبساتين (أصلانا، 1987، صفحة 336)، وتجدر الإشارة بأن عمارة الأسبلّة التركية لم تأخذ مظهرها الكامل حتى النصف الثاني من القرن 16م ففي عهد المعمار سنان باشا (1490-1588م) وصل الأسلوب العثماني الكلاسيكي إلى ذروته فقد تضمنت هندسته المعمارية زخارف زهرية منمقة مشتركة مع المباني الأخرى في تلك الفترة (Mizbani, 2016, p. 23).

غير أنه عرف تراجعاً تدريجياً خلال القرن 17م فلم تظهر محطات مياه رئيسية في مدينة اسطنبول نظراً لكفاية نظام كيركه چشمه، والأزمات المتتالية التي أثرت على الدولة العثمانية بما في ذلك الصراع العثماني الصفوي من 1623 - 1639م، والحرب العثمانية -النمساوية 1683-1699م، ونتج عن عدم الاستقرار نقص في التجارب المعمارية داخل اسطنبول فنجد أن الأسبلّة تشبه الموجودة في القرن 16م في الشكل رغم بعض الاختلاف من حيث زيادة استخدام مواد مكلفة في البناء مثل الرخام (Mizbani, 2016, p. 24).

علاوة على ذلك؛ تأثرت المنشآت المائية بالتحديات الاقتصادية والسياسية فقد شهدت اسطنبول انحطاطاً حضرياً كبيراً بحيث انهارت مساحات شاسعة من المباني وتحللت المناطق الكبيرة من المدينة إلى أحياء فقيرة، كما تم

إهمال صيانة المباني والحدائق، فضلا عن انعدام الأمن في المدينة وظلت الحالة المزريّة للمباني العثمانية مصدر إحراج لدرجة أنه في أواخر عام 1718م رأت الدولة أنه لابد من إجراء إصلاحات على عجلة في الحدائق القريبة من مساكن السفراء الأوروبيين، وهو ما سيحدث بعد خلع السلطان مصطفى الثاني (1695-1703م) وتولية أحمد الثالث (1703-1730م) (Mizbani, 2016, p. 24)، وفي عهد هذا الأخير وصلت العمارة العثمانية إلى أوجها واتخذت عدة أشكال ظهرت في واجهات العماير، فقد طوّر السلطان عمارة الأسبلة فنجد المسقاة الضخمة ذات الأربع أسبلة (أصلانا، 1987، صفحة 237)، وتعد النافورة العامة السمة الأكثر رمزية للمناظر الطبيعية الحضرية في إسطنبول في القرن 18م، وقد زاد عدد النوافير بحوالي 365 تم تفصيلها بشكل معقد في منحوتات تصور الطبيعة والحدائق والزهور، ونُقشت بأبيات فريدة من قبل شعراء مكلفين (Mizbani, 2016, p. 26).

فضلا عن ذلك؛ تميزت العقود الأولى من القرن 19م بوجود برنامج مكثف لبناء القنوات والأسبلة، بحيث شهد عهد السلطان سليم الثالث (1789-1808م) بناء العديد من الممرات المائية الجديدة لتلبية الاحتياجات المائية للمقاطعات الإدارية والعسكرية منها ممر سليمان المائي، وتم تزويد سكان أسكدار بشبكة مياه رافقها بناء عدة أسبلة يميزها اعتماد الزخارف الزخرفية الأوروبية بدلا من الزخارف الإسلامية وتم التخلي عن الأشكال الهيكلية المعقدة للقرن 18م لصالح تصاميم أبسط، فضلا عن إنشاء مجلس للأشغال العامة للإشراف على عملية بناء شبكات المياه وتنظيمها، وفي عهد السلطان محمود الثاني (1808-1839م) تم إنشاء مديرية المباني المائية عام 1831م وتوحيد النمط العمراني في الدولة العثمانية، وفي عام 1837 نُقلت مسؤولية الإشراف على محطات المياه في إسطنبول إلى وزارة الأوقاف السلطانية وكان القصد من هذا الإجراء استرداد تكاليف بناء محطات المياه وصيانتها وتوزيعها من الجهات المحلية والأوقاف إلى الجهاز الحكومي تحت رعاية الدولة (Mizbani, 2016, pp. 31-33)، لكن منذ عهد السلطان عبد العزيز (1861-1876م) لا نجد نوافير ضخمة جديدة باستثناء السبيل الذي أنشأه السلطان والسلطانة الوالدة (Oğan, 1947, p. 06).

3.3. طرز الأسبلة وعمارتها في الدولة العثمانية:

تأثرت العمارة العثمانية في أوائل مراحلها بالحضارات المحلية التي جاورتها خاصة الفارسية، السلجوقية، والبيزنطية، فحتى عهد السلطان محمد الثاني (1451-1481م) كانت الجوامع والأبنية تبنى على الطراز المتأخر لدى البيزنطيين وهو ما نجده في إسطنبول، أثينا والمورة، لكن مع بداية القرن 16م تغير الأمر كلياً؛ إذ ظهرت جوامع ومدارس وأسبلة منشورة في أرجاء الدولة مبنية بطراز وأسلوب واحد مميز يعود الفضل فيه للمعمار سنان باشا (أورتاي، 2012، ص 20-21)، الذي خلق فن عثمانى محض تزامن مع الدور الذهبي الذي تعيشه الدولة العثمانية ليخلف روائع الفن العثماني الكلاسيكي في البلقان وإسطنبول وقونية وحلب والقاهرة والجزائر، ومن هذه الروائع النوافير والأسبلة التي لطالما عكست القيم العمرانية والفنية لهذه المدن والفترات التي شيدت فيها، ويمكن حصر طرز الأسبلة العثمانية في ثلاثة طرز هي:

1.3. طرز الجشمة:

وهو أبسط الأسبلة العثمانية يعود معظمها إلى العهد السلجوقي، يتكون من دخلة عميقة يتوجها عقد يختلف نوعه من دخلة إلى أخرى، كما أنها تحتوي على حوض تصل إليه المياه من خلال الصنابير التي بصدرها، وفي بعض

النماذج يحل محل الحوض فسقية صغيرة تشبه الطشتية الموجودة في الأسبلّة المملوكية ذات السلسبيلات، وقد استحدثت خلال القرنين 18 و 19م والربع الأول من القرن 20م. تبني الجشّات من الحجارة المنحوتة أو من الرخام المصقول وبرغم صغر حجمها وبساطة تكوينها إلا أنها كانت مجال للإبداع الفني والمعماري حفلت بالنقوش الكتابية والزخرفية المتنوعة التي تعد الغاية في الروعة والجمال (الحداد، 2014، ص 240-245).

2.3. طرز الأسبلّة التقليدية:

كانت النوافير ما بين القرنين 16 و 17م تصمم على قاعدة مستطيلة أو متعددة الأضلاع على سطح خزان الماء الذي يبني داخل الأرض ويوصل بالمجرى المائي، وتتكون من قطعة رخام مصقول أو حجر تعرف بمرآة الحجر يلحق بها حوض رخامي وأعمدة من نفس المادة يعلوها عقود مستقيمة أو أقواس مدببة على السطح توجد قبة، يحيط بالحوض درابزين رخامي أو شبابيك مصنوعة في العادة من البرونز تكون بين الأعمدة، وفي نهاية الدرابزين هناك قاعدة توضع فوقها الأقداح، بينما نجد في أعلى السبيل أفاريز منقوشة معظمها، وعادة تكون كتابات تؤرخ لصاحب السبيل وتاريخ تأسيسه، كما نجد نوافير خاصة بالأبنية العثمانية كالمساجد والمخازن والأسواق والخانات تتكون من أحواض صغيرة موضوعة فوق بعضها بعض على حجر من الرخام (Urfalioğlu, 2015, pp. 272-273). وقد حظيت هذه الأسبلّة بعناية فائقة سواء من حيث عمارتها أو من حيث نقوشها الكتابية والزخرفية (الحداد، 2014، ص 248).

3.3. الطراز الجامع بين الطرازين:

بقي نمط العمارة الكلاسيكية طاغ على العمارة المائية حتى أوائل القرن 18م؛ حيث شهدت الدولة العثمانية الانفتاح على أوروبا وبداية تسرب المؤثرات الأوروبية من أفكار وعلوم ونمط معيشة عرفت في التاريخ العثماني بالغريب وبدأت مظاهره تنعكس على جوانب كثيرة من الدولة منها العمارة فانفصلت البناءات عن نمطها الكلاسيكي لتتأثر بالأنماط الهندسية الأوروبية خاصة في الزخرفة، فكان تأثير الروكوكو والباروك باديا للعيان، رغم أن العثمانيين تمكنوا من خلق توليفة بين طابعهم العمراني والأوروبي فكان طراز الباروك بخاصية عثمانية.

وأخذت النوافير نصيبها من هذا التغيير مع أن شكلها بقي مربعا بينما أدخلت عليها زخارف ذات الانحناءات التي تشبه القواقع والأصداف وصفوف من الأحزمة والمقرنصات، كما استخدم التذهيب على الزخارف وأطراف الانحناءات، ومن أشهر النوافير المتأثرة بفن الباروك كانت نافورة السلطان أحمد الثالث الواقعة في ميدان توب كابي التي بناها المهندس قيصري محمد آغا عام 1729م وكان بها أحواض من الجهات الأربعة، مع زوايا مشطوفة التي تعطيها المنظر الجمالي تعلوها أسقف من البرونز ووسطها قبة مذهبة (Koçyiğit, 2019, p. 453)، لتظهر العديد من النوافير على هذا الطراز كنافورة صالحة سلطان، ونافورة السلطان محمود الأول، سبيل والده سلطان، سبيل عبد الحميد خان، نافورة حسن باشا جزائري ومعظمها كانت في منطقة أسكدار.

تسارع التغيير والتأثير أكثر مع عهد التنظيمات فتغيرت أبعاد ومواد العمارة المدنية وظهرت أساليب وابتكارات جديدة في تخطيط المدينة التي عرفت توسعا غير مسبوق؛ إذ تم إزالة الأحياء الخشبية القديمة وتحولها لأبنية عصرية كالمستشفيات والأبنية الإدارية والبنوك كما بنيت القصور والأكشاك في أطراف المدينة وتوسعت بهذا المدينة وسكانها وزادت الحاجة للمياه فأقيمت ممرات مائية كممرات الحميدية، بيد أن بناء الأسبلّة لم يعد بالكثافة التي عرفتها العهود

السابقة (Güngör, 2021, p. 41)، وطبعت بطابع الفن الحديث وأهم ميزة كانت تضيق واجهات نافورة واستطالتها أكثر لكنها عكست مدى التأثير الغربي على الهندسة ومن أشهر نوافير هذه الفترة نافورة الحميدية، نافورة ولهم الثاني الامبراطور الألماني الذي زار اسطنبول كما أصبحت النوافير تبنى في المؤسسات التي كان لها الدور في تحديث الدولة كنوافير بيزي عالم والده سلطان التي اقيمت في مدرسة التعليم العالي فترة حكم السلطان عبد المجيد (1839-1861م) (Urfalıoğlu, 2015, pp. 477-478).

4. عناية العثمانيين بالخدمات بالأسبلة في المركز والولايات :

1.4. الأسبلة والعيون في إسطنبول:

ظلت إسطنبول عاصمة الدولة العثمانية منذ فتحها على يد السلطان محمد الفاتح عام 1453م، تجمع بين التاريخ البيزنطي المسيحي والتاريخ العثماني الإسلامي، ولم يكن فيها نظام مياه منظم فقد دمرت في عهد الإمبراطورية الرومانية معظم خطوط إمداد المياه خارج المدينة بسبب الحروب والزلازل، وفي أواخر عهد الإمبراطورية البيزنطية أصبحت شبكة المدينة الداخلية غير صالحة للاستخدام (Filiz Karakuş, 2018, p. 36)، وبعد فتحها أصبحت استعادة شبكة مياه المدينة أولوية لإدارة السلطان محمد الفاتح فأمر بإصلاح خطوط المياه الحضرية الداخلية وتمت إعادة بناء الخطوط البيزنطية (Mizbani, 2016, pp. 15-16)، فكانت ممرات مياه هالكالي تمر بالأحياء المرتفعة من إسطنبول، والمساجد، الثكنات، المدارس، نزل الدراويش، إضافة لأسبلة الأحياء السكنية، أما الأحياء السفلية مثل أيوب فتم ايصالها بمياه كيركشيشمه المتواجدة في غابات بلغراد، ومع مرور الوقت تم ربط هذه الممرات المائية بممرات أخرى لتصل أحياء جديدة في إسطنبول ففي عهد سليمان القانوني (1520-1566م) كانت مياه منشآت كيركشيشمه تغذي 185 منشأة، 64 نافورة، 19 بئر، 13 حمام، 7 قصور. كما تم إقامة ممرات السليمانية وأسكدار (Tabakoğlu, 2015, pp. 80-90).

زيادة على ذلك؛ تم تشييد منشآت عمرانية تعكس مدى القوة والعظمة التي عرفتها الدولة العثمانية في عصرها الذهبي من قصور ومساجد وكنيات وحفرت الأقنية والسواقي لإيصال المياه لأحياء إسطنبول (أوغلي، 1999، صفحة 622)، بيد أن أهم معلم مائي انتشر في إسطنبول كان النوافير وعادة تكون في ساحات وباحات المساجد لأجل الوضوء، ثم بدأت تظهر في البازارات والخانات، وتعد نافورة الفاتح التي أنشأت عام 1470م أول نافورة بنيت في مدينة إسطنبول، أما أول نافورة عمومية مزخرفة فكانت لشيخ الإسلام أفضل زاده حميد الدين أفندي عام 1496م (Güngör, 2021, p. 38).

فضلا عن ذلك؛ نجد قسم المياه كمنظمة شبيهة بالنقابة يعمل فيها مسؤولي نظام المياه، عمال الصيانة، المساحين، الحراس، وموظفي الدعم الآخرين كالنجارين (Mizbani, 2016, p. 18)، كما تم بناء شبكات المياه في عهد السلطان سليم الأول (1512-1520م)، وما إن اعتلى السلطان سليمان القانوني العرش حتى تم توسيع الحدود وأصبحت اسطنبول أكثر ازدحامًا ما جعلها تعاني من مشاكل المياه، وأصبحت الأسبلة التي بنيت في عهد الفاتح غير كافية فقام المعمار سنان باشا ببناء شبكات المياه في اسطنبول وأدرنة (Filiz Karakuş, 2018, p. 369)، ومع مرور الوقت زاد عدد النوافير والأسبلة في إسطنبول حتى وصل عددها عهد مراد الرابع (1623 - 1640م) عشرة آلاف نافورة لم يبق منها غير

ألف وخمسمائة سبيل أقدم ما تبقى منها هو سبيل إكمكجي زاده قيصرلي أحمد باشا بمدرسة الوفاء وبني عام 1565م، وأشهر الأسبلة في إسطنبول سبيل السلطان أحمد الثالث، سبيل أسكدار، سبيل طوبخانه، سبيل مهرشاه، سبيل الوالدة سلطان، سبيل صالحه سلطان، سبيل بيكوز إسحاق آغا، وكانت منطقة أسكدار، الفاتح وإمينونو أكثر المناطق التي تضم الأسبلة والنوافير باعتبارها أقدم المناطق المأهولة في إسطنبول (Güngör, 2021, p. 39).

2.4. البلقان:

يذكر أوليا جلبي في حديثه عن مدينة بلغراد التي زارها عام 1660م أنه وجد الكثير من الجوامع والمساجد والحمامات التي تفرض مد أقنية لجر المياه النظيفة التي تصلح للوضوء والطهارة وهو ما أدى لوجود عدد كبير من الأسبلة التي كانت تتدفق منها المياه النظيفة للشرب تتواجد في الطرقات وأمام الجوامع والمدارس والخانات وتبنى عادة بالحجر المشذب وتزين بأية قرآنية وبيت شعري يؤرخ ببناءها مع اسم واقفها، وقد أشار إلى وجود 600 سبيل في بلغراد كان أقدمها الذي بناه محمد باشا في 1554م (أرناؤوط، 2014، ص36).

3.4 الولايات العربية:

أولا: المشرق العربي:

طرح اتساع المدن العربية وكثافة سكانها عدد من المشكلات الخاصة بإشباع احتياجات السكان المادية والتي لا يمكن تركها للمبادرات الفردية وحدها، لذا كان من الواجب إيجاد أشكال تنظيمية لتزويد المدن بالمياه التي تحتاجها وتوفير وسائل تنظيفها وإنارة شوارعها (ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، 1995، ص 110)، وكانت مشكلة توفير المياه صعبة الحل بالنسبة للمدن التي تقع في منطقة مناخية قليلة الأمطار بصفة عامة، أو أين تكون الأنهار ضعيفة المياه أو غير منتظمة، وكانت مصادر المياه في المدن العربية مختلفة فمثلا استفادت القاهرة والموصل وبغداد من وجود الأنهار القريبة منها، وقد أظهرت السلطات اهتمامها بهذه الخدمة الحيوية أكثر مما نعتقد (ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، 1995، ص 110-116).

فقد اتبعت الدولة العثمانية في الحجاز نهج سابقها في الاهتمام بتوفير المياه في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة لخدمة سكان بيت الله الحرام والحجاج متعاونة مع أهالي الخير (غباشي، 1410، ص64)، ويظهر ذلك من خلال العناية بحفر الآبار وإنشاء العيون والقنوات والبرك والحمامات والمطهرات (المبيضات) والسدود والمجاري (شاهين، ص214)، ورعاية الأسبلة القديمة بحيث قام السلطان مراد الثالث (1574-1595م) عام 1577م بتجديد بناء السبيل الذي يقع أمام الكعبة ويأخذ ماءه من بئر زمزم (غباشي، 1410، ص296)، وإنشاء أخرى جديدة وصيانتها وترميمها ففي عهد السلطان سليمان القانوني تم بناء سبيلين بمكة باسمه الأول يقع بجوار سور باب المعلا يستمد مياهه من قناة عرفه، والسبيل الثاني بالقرب من المروة يستمد مياهه من قناة الماء المتجهة إلى بركة ماجن وقد كان له دور كبير في تزويد الناس بالماء عام 1814م حيث كان الحجاج يتزاحمون حوله طوال الليل والنهار لملء قريهم بالماء، وفي عام 1571م في عهد سليم الثاني (1566-1574م) تم إنشاء سبيل بالتنعيم ليشرب وتوضأ منه المعتمرون (شاهين، ص 257-258)،

ومن أشهر الأسبلة التي بنيت بين القرنين 17 و 18م نجد: سبيل الخاصكيه بجوار بئر زمزم، سبيل بطريق التنعيم وغيرها، وفي عهد السلطان محمود الثاني أنشئ سبيل إلى جوار بئر في شمال مكة، وآخر على حدود حرم مكة من الجهة الغربية عام 1846م، وفي عام 1862م بنى أحد الهنود بطريق التنعيم قريبا من الشهداء سبيلا إضافة إلى قيام الشريف عبد الله أمير مكة ببناء سبيل آخر، وفي عام 1866م بنى أحد الهنود سبيل بقرب بئر حفرها الشيخ محمود، كما اهتمت لجنة عين زبيدة بعد تأسيسها عام 1878م بإنشاء مجموعة من الأسبلة في كافة أحياء مكة، كما تم إنشاء سبيل البز في نهاية العهد العثماني (شاهين، ص 259-260).

أما في القدس بدأ اهتمام العثمانيون بقنوات السبيل بعد أن تسنى لهم ضمها، فقد حرص السلاطين والأمراء - بدوافع سياسية ودينية - على توفير الإمكانات المادية والمعنوية لسكان المدينة (ارميس، 2014، ص 116)، وتم إقامة العديد من الأسبلة في عهد السلطان سليمان القانوني (من بينها سبيل باب الناظر الذي أنشئ سنة 1536م، سبيل بركة السلطان أو سبيل باب الخليل الذي يقع في الناحية الجنوبية الغربية من باب الخليل سنة 1536م، وسبيل باب القطانين المعروف بسبيل باب الواد، وسبيل باب السلسلة سبيل باب العتم، سبيل السيدة مريم، باستثناء سبيل قاسم باشا الذي أنشئ عام 1527م وقام بإنشائها للتغلب على النقص الحاصل للمياه خصوصا في فصل الصيف وربطها بشبكة من القنوات المتصلة بقناة السبيل وبرك سليمان (الشورة، 2016، ص 335).

في حين تم تزويد القاهرة بالمياه وفقا لنظام لا يحتاج تدخل السلطات يجمع بين السقائين المنتظمين في طوائف ويحملون المياه من النيل ويدفع لهم المستهلكون أجورهم، وكان يتم تخزين المياه في الأسبلة التي تقوم الأوقاف بتمويلها (ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، 1995، ص 117)، وتم تشييد العديد من الأسبلة العامة قدرت بحوالي 300 سبيل موزعة بالتساوي على التجمعات السكنية تبعا لتوزيع السكان مع تركيزها في الشوارع الأكثر نشاطا في المدن المصرية (ريمون، القاهرة تاريخ حاضرة، 1994، ص 219)، اشتهرت بأنها جارية الماء على الدوام خصوصا الموجودة في السوق السلطانية (جلي، 2006، ص 359).

فضلا عن ذلك؛ قامت الأسبلة بدور هام وخاص في تموين القاهرة بالمياه الصالحة للشرب؛ إذ كانت تسمح بتخزين المياه لتوزيعها لوقت لاحق، وبالرغم من التنوع الشديد في الطرز المعمارية وفي الأحجام فإن الأسبلة كانت منتظمة بطريقة ثابتة بصفة دائمة (ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، 1995، ص 118)، كما يوجد تحت أرض السبيل خزان (الصهرج) يملؤه بمياه النيل أو الخليج أثناء الفيضان، عن طريق فتحات مفتوحة على الشارع، وعلى مستوى هذا الأخير توجد قاعة مزودة بعدة شبابيك محاطة بحاجز مشبك يتم توزيع المياه من خلاله ويوجد في خارج السبيل (مرشف من النحاس) لإرواء المارة، وتشمل غالبية الأسبلة دورا علويا يضم فصل دراسي (مكتب) بحيث يقوم معلم بتدريس القرآن والقراءة والكتابة للأطفال في الحي وغالبيتهم من الأيتام، ويتم الإنفاق على هذا السبيل وعلى صيانة العقارات عن طريق الأوقاف (ريمون، القاهرة تاريخ حاضرة، 1994، ص 219).

علاوة على ذلك، تضاعف عدد الأسبلة في دمشق سواء في الشوارع أو القصور فلا يوجد جامع أو مدرسة أو تكية أو زاوية أنشئت في هذه الفترة إلا وأقيمت فيها، فأقام بعض الولاة والمحسنون من الحكام وغيرهم الأسبلة وحبسوا لها الأوقاف لصيانتها (نعيسة، 1986، صفحة 153)، كانت المياه تحمل إلى أحياء دمشق عن طريق نظام متقن التوزيع وهو نظام قديم للغاية ولم يكن على العثمانيين سوى القيام بتأمين صيانتها (ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر

العثماني، 1995، ص 119)، ومن أشهر الأسبلة العثمانية في دمشق نجد سبيل درويش باشا 1574 - م في منطقة الدرويشية القريبة من سوق الحميدية الذي لحقه حوض لسقي الدواب (سعدات، 1436، ص 29).

كما نالت شؤون السقايات العامة في بغداد اهتمام الولاة وأرباب الدولة والأعيان وأهل الخير وحتى النساء بإنشاء جملة من السقايات المهمة ووقف عليها الأوقاف، كما تم تثبيت العاملين على خدمة السقاية وتحديد رواتبهم من الأوقاف، ومن أشهر السقايات نجد: سقاية جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني التي أنشأها مراد الرابع (1623-1640م) سنة 1637م، وسقاية السهروردي التي أنشأها الوالي حسين باشا السلحدار عام 1673م (السرحدان، 2016، ص 176-177).

ثانيا: المغرب العربي

نالت إيالات المغرب العربي هي الأخرى حظها من اهتمام الحكام العثمانيين بالأسبلة، فقد تم تزويد المدن الجزائرية بالمياه خاصة العاصمة في ظل غياب شبكة هيدرغرافية حيوية كالأنهار، ونظام قاعدي لتزويدها بالمياه، فضلا عن ملوحة مياه الآبار، فكان عليهم الاهتمام بالقنوات المائية التي تجلب الماء من الأودية والعيون الواقعة خارج المدينة، وكذا الاهتمام بتوزيع هذه المياه في القصبات والأحياء بإنشاء عيون وأسبلة، وقد نجحت مساعيهم في ذلك؛ إذ أن مدينة الجزائر أوائل القرن 16م لم تكن بحجم المدن التي انضوت تحت الحكم العثماني بل كانت أشبه بقرية صغيرة مطلة على البحر المتوسط بها مرسى صغير تلجأ إليها السفن عند الضرورة (سعدالله، 1998، ص 168).

مع هذا استطاع العثمانيون في وقت قصير تحويلها إلى أكبر المراكز الحضارية المتوسطية، فعملوا على تهينة القنوات لربط المياه المتجمعة في الوديان والجبال القريبة من المدينة وكانت تجري إما فوق الأرض أو في باطنها مرصوفة من الفخر أو الحجارة، وقد تم إنشاء أربع شبكات من السواقي عرفت بالعيون وهي : عين تلاوامي التي أقامها حاكم الجزائر حسن باشا عام 1550م بغرض جلب المياه من أعلى ضواحي الجزائر بمنسوب مياه يقدر ب 561 لتر في اليوم لتزويد القصبة بعد أن يتم تجميع مياهها في خزان ماء بارتفاع 85 متر، ثم تليها من حيث الأقدمية عين بئر طرارية التي أنشئت عام 1573م على يد أحمد باشا عراب لأجل تأمين مياه الشرب للمناطق الشمالية من المدينة وكان مصدر مياهها واد المغاسل المعروف ب Frai Vallon وقد وصل معدل منسوب مياهها يوميا إلى 126 ألف لتر .

ومع بداية القرن 17م أضيفت قناة جديدة عرفت بقناة الحامة صممها المهندس الأندلسي باسطة موسى خلال فترة حكم قوصة مصطفى باشا وقد تميزت بحناياها وأقواسها ذات الطابقين ، واستغلت لتزويد قصور الجنيّة وثكنات الإنكشارية بمعدل 777 ألف لتر يوميا، أما آخر عين أنشئت في هذه الحقبة فكانت عين الزبوجة التي أسسها آخر دايّات الجزائر الداوي حسين لجمع مياه عين الزبوجة الواقعة في مرتفعات بوزريعة إلى القصبة بسعة مياه تقدر في الأوقات المطيرة ب 734 ألف لتر يوميا (سعيدوني، 1995، الصفحات 71-73)، وقد ظلت هذه الشبكة تزود مدينة الجزائر حتي نهاية القرن 19م .

يذكر هايدو في كتابه وجود ست عيون للمياه العذبة في مدينة الجزائر خلال القرن السادس عشر، وكانت مياهها تجلب من الجبال الواقعة جنوب المدينة عبر قنوات تمر أسفل الباب الجديد لتزود كل سكان المدينة. هذه العيون هي عين السلطان التي تتواجد إلى جانب قصر الحاكم، عين صفر باشا التي أنشأها عام 1581م تقع خارج باب البحر

قريبة من الميناء، والأخرى هي العين التي أنجزها رمضان باشا، ثم العين المتواجدة في الثكنات الثلاث للإنكشارية. إضافة إلى نافورتين أنشأها أحمد باشا عراب أيام حكمه الأولى تتواجد بمنطقة باب الواد تتصل عبر أربعة أنابيب بالعيون الطبيعية الموجودة غرب المدينة أما الثانية فأنشئت بالقرب من باب عزون، وقد كانت هذه العيون توفر كميات من المياه تزيد عن حاجة السكان بل يخزن جزء منها في خزانات تحسباً لأي طارئ (Haido, 1998, pp. 220-221).

بيد أن عددها تضاعف بسبب الاتساع العمراني للمدينة وتطورها الاقتصادي وازدياد عدد سكانها ففي القرن 17م كانت ساقية الحامة لوحدها تغذي ست وعشرون عين عمومية في المدينة، وقناة الزبوجة في القرن 19م تزود أربعة عشر عين، علاوة على العيون الموجودة داخل المدينة هناك عيون عديدة كانت في فحصها مثل عين الأزرق التي أنشأها الداوي بابا علي، عين تقصيرين، عين سبع عيون بالقرب من واد المغاسل، عين بئر خادم، وعين بئر مراد رايس التي بنيت في تاريخ متقدم من العهد العثماني (سعيدوني، 1995، ص 68-73).

كما لاحظنا عني الحكام العثمانيون ببناء السواقي وتوزيعها عبر الأسبلة حتى فاق عددها المئة ولا نجد حاكم إلا وقد شيد في فترته سبيل أو اثنين حتى الأشد قسوة منهم، وكل العهد الإسلامي والعثماني كانت توقف لأجل استدامتها والعناية بها الحبوس من مباني ومحلات ومزارع (ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، 1995، ص 123)، وبهذا كانت عمومية يستفيد منها الناس بنفس الحقوق فلا يحق لأي شخص أن يوصل مياهها ببيتة بأي وسيلة كانت، حتى كبار القوم كانت أكبر ميزة لهم أن ينشئوا عين أمام بيوتهم لا غير. وقد خصصت الدولة نظام إداري للإشراف على العيون وصيانة شبكتها من قنوات وسواقي والسهر على توزيع المياه بها، على رأس هذا النظام موظف يدعى قائد العيون يساعد عددًا من العمال والمتخصصين، كما كان قائد الشوارع مسئولًا عن مراقبة استخدام المياه والحفاظ عليها (بلحميسي، 1992، ص 78).

وفي تونس اعتمد العثمانيون على شبكة المياه الموروثة عن الحفصيين وكان أهمها القناة التي تربط زغوان بقرطاج وتمتد مدينة تونس بما تحتاجه من مياهه وظل الأمر كذلك حتى عهد المراديين؛ إذ قام يوسف باي بترميم القناة خلال القرن السابع عشر. بيد أن تونس لم تعرف توزيعاً وفيراً للمياه حتى الفترة الحسينية بقيام حسين باي وخليفته علي باي بتجديد نظام توزيع المياه القديم وبناء الخزانات والأحواض وإنشاء العديد من الأسبلة والعيون عبر كل أحياء تونس، إضافة إلى إنشاء وقف لصيانتها والحفاظ عليها (ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، 1995، ص 120-121).

5. أهمية الأسبلة:

تجسد الأسبلة المائية صورة من صور الإنفاق في سبيل الله وصدقة جارية يترتب عليها أجر كبير، ويحمل عمل توزيع الماء مفهوماً دينياً قوياً لدى العثمانيين ويعتبر تشييد الأسبلة من أعمال الخير المفضلة لدى رجال الدولة العثمانية خاصة العسكريين والحرفيين، فكان الضباط يظهرون من خلالها تقواهم واهتمامهم بالمدن وسكانها وفي نفس الوقت فرصة لتخليد ذكراهم (ريمون، القاهرة تاريخ حاضرة، 1994، ص 219)، فحظيت آثارهم الفخمة بإعجاب خبراء الفن في جميع أنحاء العالم (Oğan, 1947, p. 05)، وقد تمت هذه الرعاية الخيرية في إطار الأوقاف لتأمين المياه لسكان المدينة بطريقة مرضية (ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، 1995، ص 119).

زيادة على ذلك؛ ساهمت الأسبلة في رعاية المجتمع وضمان راحة المواطن بتحقيق التنمية الاجتماعية وإرساء قواعد العدالة والتكافل الاجتماعي، من خلال توفير أهم عنصر لهم هو الماء وتزليل طرق الحصول عليه، فكانت الأسبلة والنوافير تنتشر في معظم أحياء المدن والمناطق النائية؛ إذ تعد ملكية جماعية يتمتع السكان فيها بنفس الحقوق فلا يحق لأحد أن يربط السبيل ببيته، وعندما يتعذر وصول المياه لبعض الأحياء كان السقائون يضعون جرار فخارية كبيرة ملتصقة بحوائط الحي يملأها مستخدم مرارا في اليوم.

وتعد الأسبلة نقاط التقاء السكان على جميع أصنافهم من رجال ونساء وأطفال وحضر وقرويين لا ينقطع عنها المارة ولا الضجيج، وصفها الكثير من الرحالة في كتاباتهم وعبروا عن مدى إعجابهم بالنظام المتبع بين واديهما فلا وجود للتجاوز ولا فرق بين حاكم ومحكوم (بلحميسي، 1992، ص 78-80)، ومع بداية القرن 18م تأثرت العادات والتقاليد الاجتماعية العثمانية بمؤثرات غربية جعل من هذه النوافير والممرات المائية الواقعة في الساحات العامة خاصة في منطقة كاغطخانة أماكن تجمع طبقات المجتمع العثماني لأجل الاحتفالات الدينية أو الموسمية وحتى لأجل التنزه وقضاء عطل نهاية الأسبوع (Özli, 2021, p. 43)، ويتم تقديم الشربات وعصير الفاكهة عادة لا ينضب لأنه كلما شارب على الانتهاء يضاف له الماء ويقدم إما في أكواب أو يوزع مباشرة عبر الحنفيات (Urfalıoğlu, 2015, p. 471).

دون أن ننسى الأهمية الاقتصادية لهذه الأسبلة، نظرا لما توفره من مناصب عمل كمهنة ري المنازل من خلال إيصال المياه عبر القرب بعد الاتفاق مع أصحاب البيوت حول مبلغ شهري يدفعه ويسمى صاحب هذه المهنة سقا، إضافة للهيئة المختصة بإقامة النوافير وصيانتها والاهتمام برقع الأوقاف التي توقف لها واستثمارها في مشاريع صناعية وتجارية لأجل زيادة المداخيل، كما كانت الأسبلة في كثير من الأحياء والمناطق أماكن لتجمع الأنشطة الاقتصادية كبائع السكاكين والتبغ وبائع الحلوى (Kahraman, 2018, p. 378).

خاتمة:

انطلاقا مما سبق ذكره؛ يمكننا القول بأن المنشآت المعمارية المائية لعبت دورا هاما في المجتمع الإسلامي سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية وحتى الصحية والدينية، والعثمانيون بمختلف أطيافهم السياسية والاجتماعية ساهموا في استمرار تراث حضاري إسلامي أصيل تمثل في سقي الماء وإنشاء الأسبلة والنوافير في أحياء المدن والقرى والحاقها بالمباني الدينية والإدارية لتوفير الماء الصالح للشرب الذي كان أحد أولويات الحاكم حتى يحافظ على شرعيته وخدمة رعيته.

ولم تقتصر أهمية السبيل في توفير المياه بل كان معلما حيويا، بسبب مساهمته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للعثمانيين فتجمع حوله الباعة كما كان مكانا لإحياء الاحتفالات والمناسبات، ويظهر مدى تمسك المجتمع العثماني بالتدين والورع والتسابق لفعل الخير تقريبا إلى الله وأملا في ثواب الآخرة وذلك بتوفير الماء للسقاية والشرب ولاسيما للمارة في الطرقات الذين قد يتعرضون للمرض نتيجة المرض والعطش في حضارة الشمس، علاوة على كل هذا شهدت الأسبلة على مراحل تطور العمارة العثمانية والأنماط المؤثرة فيها.

6- توثيق المراجع:

1. إبراهيم محمودى إبراهيم أبو ارميس، 2014، ((وقف قناة السبيل في القدس من خلال الوثائق العثمانية))، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، ع: 02، 111-140.
2. أبو القاسم سعدالله، 1998، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، ط1، ج: 01، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
3. أكمل الدين إحسان أوغلي، 1999، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مج 01، اسطنبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية.
4. إلبير أورتالي، 2012، إعادة استكشاف العثمانيين، ط1، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون.
5. أندريه ريمون، 1994، القاهرة تاريخ حاضرة، ط1، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
6. أندريه ريمون، 1995، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ط1، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
7. أوقتي أصلا، 1987، فنون الترك وعمائرهم، اسطنبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية.
8. أوليا جلبي، 2006، الرحلة إلى مصر والسودان والحبشة، مج: 01، القاهرة، دار الآفاق العربية.
9. بلحميسي مولاي، 1992، ((الجزائر (العاصمة) ومشكل المياه في العهد العثماني))، Revue d'études archéologiques، ع: 02، 75-82.
10. سعدات م. ف، 1436، الفضائل النفسية والاجتماعية والقيمية لبناء الأسبلة المائية الوقفية الخيرية، الهدى للطباعة.
11. صالح علي الشورة، 2016، ((اسهام السلطان سليمان القانوني في التطور العمراني الجديد للقدس 1520-1566م))، مجلة المشكاة للعلوم الانسانية والاجتماعية، ع: 02، 323-346.
12. عادل محمد نور عبد الله غباشي، 1410، المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في العصر العثماني -دراسة حضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، التخصص: الحضارة الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
13. عزة بنت عبد الرحمن شاهين، ((جهود العثمانيين في توفير المياه في الحجاز (923-1218هـ / 1517-1803م))، دراسات في آثار الوطن العربي، 724-772.
14. علي كامل حمزة السرحان، 2016، ((الأسبلة (السقايا) في بغداد خلال العهد العثماني (دراسة تاريخية))، مركز بابل للدراسات الإنسانية، ع: 02، 172-189.
15. فداء محمد أحمد قعور، 2010، الأسبلة المائية في العمارة الإسلامية حالة دراسية مدينة نابلس، أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، التخصص: الهندسة المعمارية، نابلس.
16. محمد أرناؤوط، 2014، البلقان من الشرق إلى الاستشراق، ط1، دار الكتب القطرية.
17. محمد حمزة اسماعيل الحداد، 2014، العمارة والفنون في الحضارة الإسلامية، ط1، مج: 01، بيروت، دار المقتبس.

-
18. ناصر الدين سعيدوني، 1995، ((من المظاهر الاثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر الشبكة العثمانية في مدينة الجزائر))، مجلة الدراسات التاريخية، ع: 01، 61-81.
19. نورة عبد الله باذياب، 1994، قونية عاصمة سلطنة سلاجقة الروم دراسة تاريخية وحضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة.
20. وائل بكري رشيد، أحمد حلمي زيادة، ((الأسئلة (جشمة لى) العثمانية الباقية بمدينة بورصة "دراسة تحليلية"))، مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب، ع: 19، 36-71.
21. يلماز أوزتونا، 1999، تاريخ الدولة العثمانية، مج 02، اسطنبول، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل.
22. يوسف جميل نعيمة، 1986، مجتمع مدينة دمشق 1186-1256هـ / 1772-1840م، ط1، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
23. Filiz Karakuş, Gediz Urak, Zühal Özcan , 2018, ((The Historical Water Systems of Istanbul and Their Preservation Problems: The Case of The Kırkçeşme Water System)), Journal of Science, 02, 368-379.
24. Güngör Selim Sani, 2021, ((Osmanlı Su Mimarisi ve İstanbul'daki 19. Yüzyıl Su Yapıları)) , Türk Hidrolik Dergisi, 32-48.
25. Haido Diego De, 1998, Topographie Et Histoire Générale D'Alger, France, Bouchene.
26. Kahraman, Mustafa , 2018, ((the Causes Of The Formation Of Sebil and Fontain in Istanbul and The Effects of these Constructions on The City of Istanbul)) , the Journal of International Social Research, 11, 368-383.
27. Koçyiğit Fazilet, 2019, ((Osmanlı Mimarisinde Meydan Çeşmeleri)) , Mediteranean Art, 13, 339-353.
28. Mizbani Sharon , 2016, The Final Flow: Istanbul's Fountains in Nineteenth-Century European Narratives , (A thesis submitted in conformity with the requirements for the degree of Master of Arts, University of Toronto, Near and Middle Eastern Civilizations, Toronto.
29. Oğan Aziz , 1947, ((Les Fontaines d'Istanbul. Publications du Touring et Automobile Club de Turquie)), 03-19.
30. Özlü, Nilay , 2021, ((A Revaluation of the Architectural Historiography of the Tulip Period. Megaron)), 16, 39-52.

-
31. Tabakoğlu Ahmet , 2015, ((Osmanlı İstanbul'Unun Su Tarihi. Büyük İstanbul Tarihi)) , Osmanlı İstanbulu'nda İaşe Ve Vakıf, 06, 82-117.
 32. Urfalioğlu Nur, 2015, ((İstanbul'un Çeşme ve Sebiller. Büyük İstanbul Tarihi Ansiklopedisi)) , Osmanı İstanbul'unun Yapı Bazında Mirası, 8, 468-481.